إدوارد سعيد
يرقد بين الكلمات

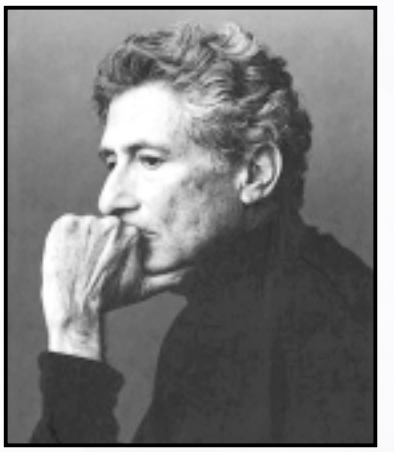

في أواخر أيلول من العام 2003 رحل المفكر العربي الفلسطيني الكبير البروفيسور إدوارد سعيد بعد صراع طويل مع سرطان الدم لم ينل من عزيمته في الكتابة والإبداع. وقد ارتأت «رؤى تربوية»، تكريماً للراحل سعيد، نشر مقتطفات من كتابه «خارج المكان»، فيما يجري حالياً إعداد ملف كامل حول فكر إدوارد سعيد في التربية والتعليم سينشر لاحقاً.

-1-
مولدي مخطط له

مع أن والديَّ كانا يعيشان في القاهرة عام 1935، فقد خطط لكي أولد في القدس... إلى العام 1947 كانت إقامتنا المتقطعة في فلسطين ذات طبيعة عائلية صرفة، أي أننا لم نكن نأتي أي نشاط كعائلة مصغرة وإنما يلازمنا دائماً سائر أفراد العشيرة....

يقع منزلنا العائلي في الطالبية، وهو حي من القدس الغربية قليل السكان بناه وسكن فيه حصراً فلسطينيون مسيحيون من أمثالنا. والمنزل كناية عن «فيللا» حجرية مهيبة من طبقتين كثيرة الغرف تحدق بها حديقة جميلة نلعب فيها أنا وابنا عمي الأصغران وشقيقاتي. (ص 45-46)

صفد نهاية التعب!

وكنا غالباً ما نذهب إلى صفد نقضي الأسبوع بطوله مع الخال منير الطبيب وزوجته لطيفة ولهما ابنان وابنة في عمري تقريباً. كانت صفد تنتمي إلى عالم آخر أقل تطوراً. (ص 46)

-2-
بين القدس .. والقاهرة

وإذ استطالت الفترات التي نقضيها في القاهرة اكتسبت فلسطين طابعاً ناعساً بل حلمياً. هناك كنت أتحرر من ذلك الشعور الحاد بالوحدة الذي أخذ يقض مضجعي فيما بعد، حين بلغت الثامنة أو التاسعة وعلى الرغم من أني كنت أشعر بانحسار وطأة التنظيم المحكم للمكان والزمان، وهو تنظيم كان محور حياتي في مصر، فإنني لم أستطع الاستمتاع كلياً بذلك التحرر النسبي منه الذي عشته في القدس. كنت أرى إقامتي المقدسية سارة لكن يعذبني فيها أنها طليقة ومؤقتة بل وزائلة وقد تبين لاحقاً أنها فعلاً كذلك. (ص 46-47)

-3-
«فكتوريا كولدج»

اتسمت حياتنا في فكتوريا كولدج بتشوه كبير لم أدركه حينها. كانت النظرة السائدة إلى التلامذة أنهم أعضاء تمموا دفع اشتراكاتهم، في نخبة كولونيالية مزعومة يجري تعليمها فنوناً إمبريالية بريطانية قضت نحبها، مع أننا لم نكن ندرك ذلك تماماً. علمونا عن حياة انجلترا وآدابها، وعن النظام الملكي والبرلمان، عن الهند وأفريقيا، وعن عادات وإصلاحات لن نستطيع استخدامها في مصر، أو في أي مكان آخر. ولما كان الانتماء العربي وتكلم اللغة العربية يعدان بمثابة جنحة يعاقب عليها القانون في فكتوريا كولدج فلا عجب أن لا نتلقى أبداً التعليم المناسب عن لغتنا وتاريخنا وثقافتنا وجغرافية بلادنا. (ص 232)

-4-
اللغة العربية .. تمرد

فجأة حولنا كراس صغير بعنوان دليل المدرسة إلى سكان أصليين. تقول القاعدة رقم واحد فيه: «الإنكليزية هي لغة المدرسة. كل من يقبض عليه متكلماً لغات أخرى يتعرض لعقاب صارم». فصارت العربية ملاذنا، لغة مُجَرّمةً نلجأ إليها من عالم الأسياد... وبسبب القاعدة رقم واحد صرنا نتكلم العربية أكثر بدلاً من أن نتكلمها أقل، تحدياً لما اعتبرناه وأعتبره الآن أكثر من ذي قبل رمزاً اعتباطياً لسلطتهم يبلغ درجة من السخف تثير السخرية، فما كنت أخفيه سابقاً في مدرسة القاهرة للأطفال الأميركيين» تحول إلى تمرد أفاخر به وأعني قدرتي على التكلم بالعربية دون أن يلقى القبض علي، بل اندفعت في المغامرة إلى حد استخدام العبارات العربية في الصف جواباً على جواب أكاديمي، وهجوماً على الأستاذ في آن معاً. (ص 231)

خارج المكان – مذكرات.
ادوارد سعيد
ت: فواز طرابلسي
ط1: 200 – دار الاداب – بيروت

للحصول على نشرة «رؤى تربوية»

أرسلوا لنا عنوانكم البريدي وستصلكم أعدادها تباعا للمراسلات

رام الله – مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي
ص. ب 2276 رام الله – فلسطين
هاتف: 2963281/2 972 2+ فاكس: 2963283 2 972+
E-mail: wasim@qattanfoundation.org
E-mail: malik@qattanfoundation.org

غزة – مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي
شارع الجلاء – عمارة دار السلام وابن حرمل – الطابق الخامس
هاتف: 2838819 8 972+ فاكس: 2838809 8 972+

الصفحة الإلكترونية
www.qattanfoundation.org/cerd.htm